تفسير إبن كثير

* أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

يقول تعالى : (أفتطمعون) أيها المؤمنون (أن يؤمنوا لكم) أي : ينقاد لكم بالطاعة ، هؤلاء الفرقة الضالة من اليهود ، الذين شاهد آباؤهم من الآيات البينات ما شاهدوه ثم قست قلوبهم من بعد ذلك (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه) أي : يتأولونه على غير تأويله (من بعد ما عقلوه) أي : فهموه على الجلية ومع هذا يخالفونه على بصيرة (وهم يعلمون) أنهم مخطئون فيما ذهبوا إليه من تحريفه وتأويله ؟ وهذا المقام شبيه بقوله تعالى : (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه) [المائدة : 13] .قال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه قال : ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، ولمن معه من المؤمنين يؤيسهم منهم : (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) وليس قوله : (يسمعون كلام الله) يسمعون التوراة . كلهم

قد سمعها . ولكن الذين سألوا موسى رؤية ربهم فأخذتهم الصاعقة فيها .قال محمد بن إسحاق : فيما حدثني بعض أهل العلم أنهم قالوا لموسى : يا موسى ، قد حيل بيننا وبين رؤية االله تعالى ، فأسمعنا كلامه حين يكلمك . فطلب ذلك موسى إلى ربه تعالى فقال : نعم ، مرهم فليتطهروا ، وليطهروا ثيابهم ويصوموا ففعلوا ، ثم خرج بهم حتى أتوا الطور ، فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى أن يسجدوا ، فوقعوا سجودا ، وكلمه ربه تعالى ، فسمعوا كلامه يأمرهم وينهاهم ، حتى عقلوا عنه ما سمعوا . ثم انصرف بهم إلى بني إسرائيل ، فلما جاءوهم حرف فريق منهم ما أمرهم به ، وقالوا حين قال موسى لبني إسرائيل : إن االله قد أمركم بكذا وكذا . قال ذلك الفريق الذين ذكرهم االله : إنما قال كذا وكذا خلافا لما قال االله عز وجل لهم ، فهم الذين عنى االله لرسوله صلى االله عليه وسلم .وقال السدي : (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام االله ثم يحرفونه) قال : هي التوراة ، حرفوها .وهذا الذي ذكره السدي أعم مما ذكره ابن عباس وابن إسحاق ، وإن كان قد اختاره ابن جرير لظاهر السياق . فإنه ليس يلزم من سماع كلام االله أن يكون منه كما سمعه الكليم موسى بن عمران ، عليه الصلاة والسلام ، وقد قال االله تعالى : (وإن أحد

من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام االله) [التوبة : 6] ، أي : مبلغا إليه ; ولهذا قال قتادة في قوله : (ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) قال : هم اليهود كانوا يسمعون كلام االله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ووعوه .وقال مجاهد : الذين يحرفونه والذين يكتمونه هم العلماء منهم .وقال أبو العالية : عمدوا إلى ما أنزل االله في كتابهم ، من نعت محمد صلى االله عليه وسلم ، فحرفوه عن مواضعه .وقال السدي : (وهم يعلمون) أي أنهم أذنبوا . وقال ابن وهب : قال ابن زيد في قوله : (يسمعون كلام االله ثم يحرفونه) قال : التوراة التي أنزلها االله عليهم يحرفونها يجعلون الحلال فيها حراما ، والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقا ; إذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب االله ، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب ، فهو فيه محق ، وإن جاءهم أحد يسألهم شيئا ليس فيه حق ، ولا رشوة ، ولا شيء ، أمروه بالحق ، فقال االله لهم : (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) [البقرة : 44] .